" احتمالية الرفض " _ تيم أوبرين، ماي لاي، اميركا

هـ. بروس فرانكلين
ترجمة نجام الجبيلي

على الرغم من الذنب المستحق والعار والكرب الذي لحق باميركا نتيجة حرب فيتنام، فللامريكان الحق في ان يفخروا بانجازين وطنيين كبيرين، الاول هو الحركة المضادة للحرب لعشرات الملايين من الناس العاديين، وهي الحركة التي ادى فيها اخيرا الجنود في حرب فيتنام دورا حاسما، والانجاز الاخر هو الادب الذي كتب عن الحرب والذي اصبح الجنود المشاركون فيها مبدعيه الاصليين.ومن بين العدد الكبير من الكتاب المهمين المشاركين في حرب فيتنام هناك شعراء جيدون مثل "بورس فايغل" و"و.د. ليرهات" و"يوسف كوميوناكا" (الفائز بجائزة "بوليتزر" للشعر عام ١٩٩٤)، وكتاب مسرحيون وسينمائيون مثل "ديفيد ريب" و "اوليفر ستون" (مخرج فيلمي "الفصيل" و"مولود في الرابع من تموز")، وكتاب قصة مثل "لاري هاينمان" (الفائز بجائزة الكتاب الوطني عام ١٩٨٧ عن روايته "قصة باكو") و"نوبياس وولف"، و"وينستون غروم" (مؤلف "فورت غمب") و"روبرت اولين بتلو" (مؤلف رواية "رائحة طيبة من جبل غريب" التي فازت بجائزة بوليتزر للرواية عام ١٩٩٣) و"جون هالدمان" (مؤلف اكثر الروايات شهرة عن حرب فيتنام "الحرب الابدية" وهي رواية خيال علمي استقرائية بيعت منها اكثر من مليون نسخة).

انهمك "تيم اوبرين" في كلا الانجازين الوطنيين، ولم يكن لمساهمته في الحركة المضادة للحرب –كتابة الافتتاحيات المعارضة للحرب في صحيفة الكلية –تاثير مباشر كبير، حتى على نفسه، لانه سيق حينئذ الى القتال في الحرب نفسها التي اعتبرها شرا لكن مساهمته في ادب الحرب كانت استثنائية، لان تجربته الى حد ما ادت الى نصيب لا يحتمل تقريبا من ذلك الذنب والعار والكرب الذي لحق بامريكا.

حين قرر رجال البيت الابيض والبنتاغون ارسال الامريكان كي يقاتلوا في فيتنام ربما لم يخطر في بالهم ابدا الادب الذي ربما سيكتبه المقاتلون –لكنهم ولا شك توقعوا احتمالية حدوث احتجاجات ضد الحرب وهذا هو سبب تعاونهم خلسة في البداية على شن الحرب سرا، واخفائهم فيما بعد الطريقة التي شنت بها الحرب واخيرا محو ذاكرة المسألة برمتها وطمرها تحت طبقات الصور الكاذبة. في الواقع، كانت العبارة المميزة في الخطة السرية للحرب عام ١٩٦٣ (مذكرة مستشارية الامن القومي رقم ٢٧٣) هي "احتمالية الرفض". لقد اصبح الرفض هو المصطلح الاساسي الضروري للبحث عن النتائج العميقة للخداع والتكتم والتضليل.

ومن كتابه الاول وهو سيرة ذاتية بعنوان "لو مت في ميدان المعركة ١٩٧٣" وحتى سيرته الذاتية التي نشرت كقصة غلاف في مجلة "نيويورك تايمز" اصبح هذا الرفض –على الصعيدين الشخصي والوطني –هو الثيمة الاساس لروايات "تيم اوبرين". ان الفصل الاشد كشفا في كتاب "لو مت في ميدان المعركة" عنوانه "الهروب" يكشف لب رفضه و يدرك انه اذا قتل اناسا في الحرب التي يعرف انها غير اخلاقية فانه سوف يعرض روحه نفسها للخطر، لهذا يقرر "الهرب" وهو اختياره الاخلاقي الوحيد، لكنه يكتشف افتقاره للشجاعة فيسمح بارساله الى فيتنام "لاني جبان" (كما يعترف) . هذا الاعتراف بان الجبن حال دون الاختيار الاخلاقي في الحرب –يظهر مرارا في كتابات "اوبرين"، احيانا كان يتسامى في تفصيلاته واحيانا يصبح فظا بشكل صريح. كان الاعتراف في لب روايته "السعي وراء كاشياتو" الفائزة بجائزة الكتاب الوطني عام ١٩٧٩ التي جرى الترحيب بها باطراد كاعظم رواية امريكية عن حرب فيتنام، وهي كتاب يدور كله حول محاولة الجنود للهرب من الحرب باجسادهم وعقولهم وفي ذروة خيال البطل يعلن الى العالم: "انا خائف من الهرب.. اخشى كيف يفكر بي اولئك الذين احبهم. اخشى فقدان مكانتي.. اخشى ان اعد جبانا اخشى ذلك حتى اكثر من الجبن نفسه". في مجموعة "الاشياء التي حملوها" المعنونة بـ "عمل روائي" والتي يتكون اغلبها من قصص سيرة ذاتية، يقوم "تيم اوبرين" بسرد "القصة الوحيدة التي لم احكها من قبل ابدا، عن الحدث الفاصل في حياته في منطقة "ريني رايفر" ولاية "مينيسوتا"، "كان علي ان اعيش اكثر من عشرين سنة مع العار". لحظتها كان على بعد ياردات فقط من الحدود الكندية فلم يفر من الخدمة لاني لم ارغب ان يكون الناس فكرة سيئة عني. ضميري يقول لي: اهرب، لكني كنت خجلا"، والكلمات الاخيرة في فصل في منطقة "ريني رايفر" هي: كنت جبانا فذهبت الى الحرب" وفي مقاله المنشور في مجلة "نيويورك تايمز" يكرر القول: "كنت جبانا فذهبت الى فيتنام" لهذا فان كل شيء فعله في فيتنام كان "فعلا ينم عن مطلق الكره الذاتي والخيانة الذاتية".

يولد هذا الادراك في "اوبرين" جدلا معذبا بين الاخفاء والكشف الذي ينسج بالنتيجة شبكات معقدة مذهلة من الخيال والذاكرة التي تكون رواياته وفي هذه الانسجة كثيرا ما تكون افعال الهروب المتخيلة هي البدائل المرغوبة لتذكر المجزرة ويحتاج المرء كل هذا لكي يفهم المعاني العميقة لرواية "اوبرين" في بحيرة الغابات.

يقع الحدث الرئيس في الرواية في اواخر ايلول عام ١٩٨٦ قرب مدخل "ريني رايفر" عند حافة مينيسوتا في "بحيرة الغابات" التي لها ساحل كالمتاهة يمتد طوله البالغ (٢٥) الف ميل عميقا داخل البرية الكندية. كان "جون ويد" المحارب القديم في حرب فيتنام الذي يريد ان يكون سناتورا في مجلس الشيوخ، قد عانى من خسارة مذلة في الانتخابات الاولية لانه ظهر انه شارك في مذبحة "ماي لاي" ثم غير سجلات خدمته لكي يخفي مشاركته في الجريمة وفر الى كوخ هو وزوجته "كاتي" التي اخفى عنها السر المفزع، حيث يحاولان عبثا ان يبعثا من جديد علاقتهما وحياتهما التي تاسست كما عرف كلاهما الان، على الكتمان والوهم والاكاذيب، وفي الليلة السابعة تختفي كاتي بالقارب الوحيد في الكوخ وبعد اكثر من شهر يؤجر "جون" قاربا صغيرا ليبحث عنها في الظاهر ويتجه نحو الفسحات البعيدة للبحيرة ويختفي ايضا.

في المستوى الاول تكون الرواية قصة لغز.. ماذا حدث لـ "كاتي"، هل ضلت الطريق وتوفيت في حادث عرضي؟ هل تعمدت الهرب، وحدها ام مع عشيقها؟ هل ما زالت مفقودة في البرية؟ هل تآمر جون معها ليختفيا سوية ليبدءا حياة جديدة؟ هل قتلها جون؟ كل هذه الاسئلة قدمت كافتراضات لكن الرواية ليست غامضة او بعيدة عن الحل كما تبدو. وكما في رواية "السعي وراء كاشياتو" تكون بعض الاحداث قد وقعت فعلا بينما كانت الاخرى تجري في الخيال. الحقيقة ان الكاتب المزعوم الذي يتكلم معنا في الهوامش وتعليقات المؤلف –والذي يلمح الى ان حياته الخاصة لها سمات مشابهة لكل من "جون ويد" و"تيم اوبرين" –ينتهي بالايحاء الى اننا نستطيع ان نختار اي سيناريو نرغب به ونصدقه، غير ان جميع السيناريوهات الممكنة، باستثناء واحد معروضة فقط في الفصول الثمانية المعنونة بـ "افتراضات" والتي تنتشر فيها بحرية كلمات مثل "قد" و"ربما" وكل من هذه السيناريوهات المحتملة هي فعل خيال فحسب، وكل منها يتضمن شكلا معينا من الهروب من الحدث المرعب الذي وقع فعلا والمختصر في فصول "ما كان يتذكره و"كيف مرت الليلة" و"ماذا فعل فيما بعد" وهي عناوين تشير الى الحقيقة التي من الممكن تذكرها.

وعلى الرغم من ان "ويد" لا يستطيع ان يتذكر هل قتل زوجته ام لا إلا ان التفاصيل الكافية تخرج الى السطح من اعماق ذاكرته –لا من خياله – لتسمح للقراء ان يعيدوا انشاء المشهد المخيف، وإلا فانهم كما يلمح "اوبرين" لا يرغبون في الانغماس في خيالات الرفض المفصلة.

وفي ليلة اختفاء "كاتي" يخرج "جون من الفراش في غضب جامح ويصب ابريقا مملوءا بالماء المغلي على نباتات الزينة في الكوخ، ثم يصب ابريقا اخر مملوءا بالماء المغلي على وجه "كاتي". ان بعضا من صرخاتها نتيجة الالم المميت تظل فيما بعد تنفجر من ذاكرة "ويد". بعد ذلك يخفي الجريمة عن طريق وضع اثقال هائلة مع الجثة والقارب ثم دفنهما في قاع البحيرة، ولهذا السبب يرتكب من جديد الجريمة التي ارتكبها في "ماي لاي" ويحاول اتلاف كل السجلات – والذاكرة –لهذه الفعلة الشنيعة.

تصبح "ماي لاي" في عقل "ويد" مجرد كابوس لحوادث بغيضة. والتفاصيل الاكثر فظاعة في موت "كاثي" يجري تكرارها مرات عديدة في الرواية فيثير الاستجابة نفسها: "نفثات من البخار ارتفعت من محجري عينيها"، لكن مذبحة "ماي لاي" وقعت كما نعلم، هل نعلم؟ ذلك هو السؤال الاشد ازعاجا الذي تثيره الرواية التي تحتوي على صفحات من الشهادات الواقعية ودلائل اخرى على المذبحة التي لم تكن انحرافا بل نموذجا لكيفية قيادة الولايات المتحدة حرب الابادة العرقية ضد شعب فيتنام في "ماي لاي". لم يقتل الجنود الامريكيون ما يقارب خمسمائة من الناس العزل بل انهم لاطوا الفتيات واغتصبوا النساء على مرأى من اطفالهن وطعنوا الاطفال امام امهاتهم واستعملوا الرضع لممارسة الرمي على الهدف. هل تبدوجريمة "ويد" المسعورة في صب الماء المغلي على نباتات الزينة عملا مستحيلا ؟ وهكذا كانت افعال الرقيب "كالي" كما يوحي "اوبرين":"اعاد ملء المسدس وصوب على العشب والنخلة ثم على الارض مرة اخرى". قال: "املا المكان بالزيت، اقتله"، واخيرا كانت تلك هي ستراتيجية الولايات المتحدة في اكثر مناطق فيتنام وخصوصا مقاطعة "ماي لاي" كما يذكرنا "اوبرين" في مقالته في مجلة "نيويورك تايمز".

في فيتنام كان "ويد" خبيرا في جعل الاشياء تختفي بحيث اكتسب لقب الساحر. لقد صقل خبرته بالسحر حين كان صبيا، فكان يحتاجها ليبني وسائل رفض هويته الخاصة كابن لاب مدمن على الكحول قتل نفسه. وهو يمثل حيله السحرية امام مرآة، فتعلم كيف يكون المرايا داخل ذهنه لكي يحرف الحقيقة ويختفي وراءها. ان "ويد" ساحر وسيد الوهم، وكذلك "اوبرين" الذي هو ساحر النثر بحيث يستطيع ان يجعل الخيالات عن التصديق تبدو معقولة لكن هذا لايعني ان رواية "في بحيرة الغابات" (اكثر مما لرواية "السعي وراء كاشياتو") يجب ان تقرأ كرواية واقعية سحرية تكون فيها منتجات الخيال تملك الحالة الانطولوجية نفسها كتلك الحوادث المادية الواقعية، فالسحر، كما يميزه "اوبرين" هو فن الوهم.

على انه ليس كل شيء هو خيال: هناك نوع اخر من الحقيقة –تمثلها مذبحة "ماي لاي" عام ١٩٦٨ وتجربة "اوبرين" الخاصة حول "ماي لاي" في السنة اللاحقة. وفي هذه التجربة، كما يخبرنا "اوبرين" مرارا وتكرارا انه مثل البطل الروائي "ويد" ومثل الامة الامريكية نفسها، قد ارتكب افعالا جد فظيعة بحيث انها تثير الرفض باستمرار.

العيب الكبير في رواية "في بحيرة الغابات" هو تقديمها غير المقنع تماما لحملة "ويد" بمقعد في مجلس الشيوخ في وسط مشهد اواخر الثمانينيات، فلم يحاول "اوبرين" ان يظهر كيف ان المكاشفات حول افعال "ويد" في فيتنام تدمر حملته للترشيح وبذلك تحطم حياته، بالتاكيد ان هناك الان رجالا في مجلس الشيوخ الامريكي قتلوا اكثر مما قتل "جون ويد" من المدنيين الفيتناميين، تزييف سجلات المرء لا يمكن ان يكون حاجزا للوصول الى مقعد في مجلس الشيوخ ومع ذلك فان رواية "في بحيرة الغابات" ترتبط باشد الحقائق جوهرية حول حرب فيتنام.

(الطفولة عمل شاق في منجم الفحم)

رالف روتمان يفوز بجائزة هنريش بول

ترجمة : سلمى حربة
كولونيا / ألمانيا

منحت مدينة كولن في ألمانيا مؤخرا الروائي رالف روتمان Ralf Rotmann جائزة هنريش بول، وقد تابع الملحق الثقافي في جريدة كولنشه روندشاو Koelnische Runschau الصادرة في مدينة كولن هذا الموضوع:

تعد جائزة هنريش بول التي تمنح مرة كل عامين لأهم عمل روائي، أو لمجموع أعمال الكاتب، من الجوائز المهمة التي يعني الفوز بها، فرصة غاية في الأهمية خاصة لأولئك الذين لم يأخذوا فرصتهم في الانتشار، في تسليط الضوء على أسمائهم و كتبهم التي سيقبل المزيد من القراء على شرائها، مقر منح الجائزة هو مدينة كولن، مدينة هنريش بول التي عاش حياته فيها، و ضمت رفاته في ربوع ريفها صيف ١٩٨٥ .

ينتمي رالف روتمان الفائز بجائزة هنريش بول هذا العام الى عائلة فقيرة،وهذه مثل غيرها من العائلات الفقيرة لا تستطيع أن تستمتع مثل الطبقات الأعلى بأن تعمل لها إجازة صيف، بسبب شحة المال لديها، هكذا عاش رالف روتمان طفولته وسط عائلته، و هكذا عاش بعد أن عمل في أحد المناجم في مطلع حياته، مع ذلك كان بصحبة رفاقه من العمال في إجازة الصيف يذهبون جميعا الى حجرة من الخشب، قديمة تركها أصحابها، تقع في إحدى الحدائق المهملة، أو يتخذون من الجرافات و الحفارات القديمة القريبة التي تركت قرب السواحل، لتكون معسكرا لإقامتهم،فيمضون هناك عطلتهم، بعيدا عن جو العمل القاسي،و تكون فرصة جيدة لمشاهدة المزيد من البرامج التلفزيونية.

يسيطر الجو العمالي على رواياته،علاقات العمال مع بعضهم خلال العمل و علاقاتهم خارجه، لا يترك تصويره الواقعي أي شئ، حتى صغائر الأمور لها عنده إيقاعها المؤثر، مرة واحدة في رواية رالف روتمان الأخيرة " الضوء الساطع " خرج عن هذه الأجواء، عندما التقى صدفة و بشكل عشوائي كاتباً روائياً، فدار بين البطل و ذلك الكاتب حوار مؤثر،كان له سحره الخاص، لقد استمع البطل إلى كلمات غريبة عليه، لما ملكت من سحر خاص، وكان الحوار مليئا بالايحاءات و الإشارات الكافية التي أرسلها الى القارئ، ربما كان ذلك الكاتب هو هنريش بول،فقد كان يملك الكثير من صفاته و سماته وتفكيره و معتقداته .

عندما تقدم مدينة كولن جائزة هنريش بول، جائزة لكاتب، فإن ذلك يعني أن المدينة تقدر الجهد المتميز لذلك المبدع الفائز بالجائزة، بالفعل يتميز رالف روتمان بكتاباته الواقعية، وقد كان الاختيار في مكانه، فهو يستحق بجدارة أن تلفت الأنظار إليه كما حصل لآخرين فازوا بالجائزة في الأعوام التي فاتت . نذكر مثلا الروائية آنا دودنAnne Duden فقد أصبحت معروفة جدا من القراء بعد أن فازت بالجائزة .

ولد رالف روتمان عام ١٩٥٣ في منطقة الرور، و منذ صباه عمل في أحد المناجم الواقعة هناك، في هذا المحيط كان يكبر، وقد جعله ذلك يتمتع بقوة إنسانية عالية، في كتاباته رصد ذلك، لكن دون انحياز كلي و لا موالاة مكشوفة للفقر و العوز و هموم من هم في الطبقة الدنيا، و خلال ذلك كله كانت أحلام الطبقة العاملة، أحلام غير بعيدة عن واقعهم .

اختارت لجنة التحكيم محافظ مدينة كولن ليسلمه الجائزة هذه السنة، على غير عادة ما جرى في السنوات الماضية، ربما بهذا الاختيار أرادت اللجنة أن تحيي الفائز، فضلا عن الجائزة التي منحت له، كواحد من الذين يذكرون بما له علاقة بهنريش بول ابن هذه المدينة، لقد استطاع روتمان أن يرتفع بالواقعية الشعرية الى أقصى حد،وأن يكون الماضي و الحاضر عنده شيئاً واحداً، كما أنه فتح الباب على مصراعيه على موضوع خطر الغازات السامة، كخطر يهدد العالم، كذلك غبار الفحم و العوادم الخانقة و الأنقاض بأشكالها و أنواعها، إن موضوعاته ضد كل ما يعمل على تلويث البيئة في العالم .

في كل رواياته،تناول روتمان حياة الناس في البيوت المؤجرة، القريبة من النفايات و الغبار و الغازات، وفي مقابل ذلك كله هناك الوضوح و الصفاء و الجمال، وفعلا كان إبداعه حيا وممتعا و متقنا وجميلا،كان يحكي ذلك كله بدفء و حرارة ، قليلا ما نجده عند كاتب آخر، هذه كانت تنويعاته، الخطوط العريضة التي يسير بها، دون عناية كبيرة بأشكال الكتابة، لذلك يكاد الإنسان يشم و يتذوق الموضوعات التي يركز عليها الكاتب بعناية شديدة، تلك المخلفات و الروائح التي تهدد سلامة العالم و من يعيش فيه، في تلك البيوت الضيقة و المحلات الصغيرة و من يعيش فيها، و طريقة ذلك كله تصل الى حدود ما يسمى بالترجمة الذاتية، هذا بالضبط يشكل الأعمدة الأساسية التي ترتكز عليها كتاباته الروائية، مثل رواية " الثور " عام ١٩٩١ وغابات الليل ١٩٩٤ و " اهرب يا صديقي" عام ١٩٩٨و " الحليب و الفحم " عام ٢٠٠٠ و"القيظ " عام ٢٠٠٣ والضوء الساطع " عام ٢٠٠٤ .

لقد استحضر روتمان في هذه الروايات الأحاسيس الإنسانية للشخصيات دائما، و بشكلها اليومي سواء المفرح منها و المحزن ، في لغة مشبعة بالتجارب الكثيفة و الخبرات المتشابكة الخاصة .

لقد أراد روتمان من خلال ذلك أن يرينا كيف كان ذلك العامل في المنجم \الروائي، على تلك القدرة الفائقة في الدخول الى عمق موضوعات قلما دخلها آخرون، بيد أنه بعد روايته " القيظ " عام ٢٠٠٣،غادر عالمه القديم واختار السكن في برلين و لكن ذلك كله لم يبعده عن جوهر موضوعاته الأساسية، لقد ظل روتمان عامل المنجم نفسه .

أما روايته الأخيرة " والضوء الساطع " عام ٢٠٠٤ فقد نالت التقدير الكافي لتفوز بجائزة هنريش بول للأدب الروائي .

❖ ❖ ❖ ❖ ❖

وقد نشرت الجريدة نفسها (كولنشه روند شاو) مع رالف روتمان لقاء بعد حصوله على الجائزة، وقد أجراه معه محرر الجريدة الأدبي:

سؤال: في روايتك " الضوء الساطع " يرى الشاب جوليان في التلفزيون مقابلة مع كاتب كانت هيأته جادة، يتكلم بلغة ألمانية بلهجة أهل الراين، كان ذلك الكاتب اسمه بول، بعدها أخذ هذا الشخص يبحث عن كتب ذلك الكاتب في المكتبات، هل هذه أحداث عابرة في روايتك ، أم أنها ترجمة ذاتية لكاتب الرواية ؟

روتمان :نعم،يمكن أن يكون هذا بالفعل، عرفت الروائي هنريش بول متأخرا .

❖ و هل وجدت تلك الكتب في المكتبات ؟

– طبعا، و قد قرأتها جميعا،وكان أول هذه الكتب هو " مشهد المهرج "، و كان تأثيره علي كبيرا، لقد جعلني أصحو،هنريش بول بالنسبة لي كاتبي المفضل، لذلك يفرحني بصورة خاصة، أن أحصل على جائزة تحمل اسمه .

❖ هل بهت الآن تأثير هنريش بول عليك، وهل تغيرت انطباعاتك عنه ؟

– تظل أعماله نابضة بالحياة، خاصة أعماله الأولى، و أذكر منها بشكل خاص (خبز السنوات السابقة) و رواية (لم يقل كلمة واحدة) .

❖ عندما حصل هنريش بول على جائزة نوبل عام ١٩٧٢، كثيرون من الكتاب تمنوا لو أعطيت هذه الجائزة في ذلك العام الى كونتر كراس، و كنت واحدا منهم .

– لا أعتقد ذلك،أن المهارة و العبقرية و الخلق و الإبداع في الفن هو قرار على لعب دور ، وفي رأيي أن هنريش بول أجاد هذا الدور، و لذلك يمكن اعتباره واحدا من أعمدة كتاب الرواية في العالم، إن صدقه الإبداعي كان كثيرا ما يتجاوز الذوق الفني .

❖أنت تكتب بواقعية شديدة، و عن حقائق ماثلة و بأسلوب يحمل الكثير من الشعر، أسلوب هنريش بول كان كذلك، وهذا الأسلوب موجود أيضا في الرواية الأمريكية، فما هو رأيك ؟

– كل أولئك لهم تأثير علي، لقد قرأت لهم جميعا ، و كنت مأخوذا و مفتونا بالكتاب و الروائيين الكلاسيكيين الأمريكان و منهم فولكنر، سكوت فيتزجرالد و بنفس القدر همنجواي، هناك شئ قريب بيننا، و حياتي تشبه الى حد ما حياة الكثير منهم ، معظمهم ينحدرون من الأوساط الشعبية و العمالية التي أنحدر منها، و قليل منهم من أتى من الأوساط الجامعية

❖ أحداث روايتك "القيظ " تدور في برلين، لكن رواياتك المهمة الأخرى مثل " الحليب و الفحم " و " الضوء الساطع " و " الثور" تعكس حياة طفولتك و صباك في المنطقة التي كنت تعيش بها و التي فيها أحداث تختلف كثيرا عن ما يدور في برلين،هل هناك ما يدعوك الى الهروب من تلك الأماكن الأولى الى أماكن أخرى ؟

– رواية " القيظ " هي رواية حب،لقد انتقلت صديقة البطل في الرواية الى برلين مما دفع الشخص الذي يحبها للانتقال وراءها، و هكذا بقيا معا . لقد

خبأت " منطقة الرور " التي عشت بها في أحد الأدراج أو في مكان ما، هذا في الأدب طبعا ، لكن اقليم الرور هو بالنسبة لي عبارة عن أوراق كثيرة و قصاصات يمكن أن تكون بدايات كبيرة، قبل أن يظهر ذلك على شكل أحداث في روايات، بالطبع لي دور في الرواية لأني أنا اللاعب الأول في أوراقها، لقد كبرت هناك و عشت ويجب أن أكتب عن ما شهدته و جربته و إلا لن تكون في هذه الروايات قوة الجاذبية، انني أستفيد من ذلك رغم أني تركت تلك المنطقة منذ ٣٠ عاما.

❖ لكن أحداثك عن هذه المنطقة ظلت من أهم المواضيع لديك .

– نعم،كلنا نعلم أن الأرض التي تحت أقدامنا و التي نمشي عليها ستكون يوما ما قبرا لنا، هذه هي الحقيقة المؤكدة للحياة، هذا كلام فيه شئ ما من الوجودية، لكن أرض الرور عشت عليها قبل أن آتي إلى برلين، هي بالتالي كواليس أو خلفية شعرية في رواياتي .

❖ كتبت في إطار ضيق حول حياتك بين الطفولة و الشباب، هل شهدت تغيرات كان لها أثرها العميق على حياتك ؟

– أعلنت ذلك في الروايات و القصص التي كتبتها و بينت هذا الشيء، و إلا ماذا يمكن للمرء أن يسمي كل ذلك الذي في أعمالي حقيقة .

❖ هذا واضح،ماذا تعمل الآن ؟

– أكتب رواية جديدة، أحداثها لا تقع في منطقة صباي .

❖ ماذا فعلت بعد أن حصلت على الجائزة ؟

– غادرت مدينة كولن، كما هو واضح لأني يجب أن أعود لمنضدة الكتابة .

❖ هل تعمل كل يوم ؟

– نعم، كل ليلة أكتب من الساعة السابعة مساء حتى الساعة الثالثة أو الرابعة صباحا، عندما تستيقظ زوجتي من النوم لكي تتهيأ للذهاب إلى عملها أكون أنا قد نمت،و قد ثبت لي بالتجربة أن هذا الوقت هو الأكثر مناسبة بالنسبة لي، لقد بات هذا قدري الذي لا يغادرني .

الموناليزا .. لماذا تبتسم؟

الفريد نمتسك
ترجمة :قاسم مطر التميمي

ابتسامة زوجة التاجر حتى في سنة ١٩١٠)) –الايطالي انجيلو كونتي. ((نعم.. لماذا تبتسم الموناليزا؟)) طرح هذا السؤال بعمق في نهاية القرن التاسع عشر البريطاني (فالتر باتر): ((لقد صنع من ايطالية بدينة قلما توصف بالوسامة نموذجا لكل الامهات ورمزا مقدسا. فابتداء من ام هيلينا الجميلة من طروادة وكذلك مريم المقدسة، فان الموناليزا ببساطة تجسد كل تجارب الحب والحضارة الانسانية)).

العلامة (جيرون) سادن الموناليزا وضع اللوحة في متحف اللوفر بباريس تحت رقم ٧٧٩ وعرضها للسياح منذ سنة ١٨٠٤ لتتحول الى مورد مالي للخزانة بمليارات النسخ على الطوابع البريدية والبوسترات الجدارية والكتب الفنية المصورة ووسائد الارائك وفتاحات القناني وشراشف الاسرة وغيرها كثير.

وخرجت لوحة الموناليزا وهي بحجم ٧٧ في ٥٣ سنتمترا من متحف اللوفر مراراً في غضون القرن العشرين: ففي سنة ١٩١١ سرقها ايطالي يدعى (فينسينزو بيروجيا) من متحف اللوفر. والقي القبض عليه سنة ١٩١٣ وحكم عليه بالسجن لمدة خمس عشرة سنة، وفي عهد الرئيس ديغول وافق وزير الثقافة (اندريه مالرو) على اعارة اللوحة الى متحفي واشنطن ونيويورك. وفي سنة ١٩٧٤ ضيفها المتحف الياباني.

ودأب الفنانون الاوربيون منذ الحرب العالمية الاولى على تشويه الابتسامة الغامضة للموناليزا. ففي سنة ١٩١٥ عمد الفنان الروسي (كاسمير ملاوتش) الى لوحة رسمها بنفسه للموناليزا وشخبط عليها بفرشاة غاضبة.

والجدير بالذكر ان الدادائي الفرنسي (مارسيل دوشامب) قد رسم الموناليزا سنة ١٩١٩ وفقا لرأي المحلل النفسي (سيجموند فرويد) فرسمها رجلا بشاربين وهي التي بقيت طيلة قرون امرأة كاملة الانوثة.

وفي معرض لرسوم الموناليزا في (دورسبورغ) عرضت الموناليزا على نحو يثير السخرية وهو ما لم يحدث لها طيلة اربعة قرون من تاريخها، فظهرت على صورة ستالين وماوتسي تونغ ومارلين مونرو وغولدا مائير. وظهرت ايضا على شكل قطة وامرأة تحوك بالصنارة ومنظفة واخرى ترتدي ملابس الجنس الاخر.

فقط (آنو) رسمها سنة ١٩٦٨ على صورة الجنرال ديغول ذات انف طويل.

لم يفرغ ليوناردو دافنشي (١٤٥٢-١٥١٩) من مهمته، فبعد اربع سنوات من شروعه في رسم (ليزا) الزوجة الثالثة للتاجر الفلورنسي (جيوكوندو) رمي الفنان الذي لا يستقر في مكان بفرشاة الرسم واستمهل التاجر بعض الوقت وذهب ليقيم في بلدة (كلو) الفرنسية بدعوة من الملك فرانسوا الاول والتي امضى فيها السنوات الاخيرة من حياته.

ولا ننسى ان نشير في هذا الخصوص الى الوصية التي كتبها ليوناردو واوصى فيها بممتلكاته لصديقه وتلميذه (فرانسسكو ملزي). فقد عدد ليوناردو تلك الممتلكات فذكر منها اول ما ذكر الكتب والمذكرات ثم اتبعها بالالات والادوات. اما اللوحات وسائر موجودات مرسمه فلم يشر اليها إلا بعد ذلك.

ومع ذلك فقد كان ليوناردو رساما ونحاتا في الدرجة الاولى وبحاثا مكتشفا في الدرجة الثانية. هكذا كان في نظر معاصريه وفي نظر الاجيال التي جاءت بعده. وهكذا كان بدليل ما تنطق به رسومه ولوحاته. يصدق ذلك بشكل خاص على لوحة (باخوس) و(العشاء الاخير) و(الموناليزا) اشهر لوحات ليوناردو دافنشي بل اشهر لوحة رسمها فنان، اي فنان لوجه انسان. وقد باعها لملك فرنسا بثمن بخس يساوي اربعة الاف مارك الماني. وبشراء هذه اللوحة صار الملك اكبر جامع للتحف في تاريخ الفن، ثم صارت اللوحة محبوبة عصر النهضة، زيت على خشب الحور، تساوي اكثر من مائة مليون دولار. والموناليزا اشهر لوحة بورتريت في العالم، كما يقول الناقد الفني (فالتر باتس).

ابدعها ليوناردو كما لم يفعل احد غيره من الرسامين جميعا. حسبنا ان نتأمل ابتسامة الموناليزا ونلاحظ ما تخفيه او تنم تلك الابتسامة من رقة وغموض لندرك ما اجمع عليه اكثر النقاد من ان ليوناردو هو سيد الابداع بين الرسامين جميعا لايدانيه في هذا المضمار سوى عملاق النهضة الحديثة مايكل انجيلو الذي قرا الكثير مما كتب ليوناردو زعيم مدرسة فلورنسا واخذ الكثير عن لوحاته وتأثر بأسلوبه.

العشرات ممن خلفوا ليوناردو عدوا هذا العمل (لوحة الموناليزا) بمثابة فن بورتريب طبيعي وانتجوا زهاء ستين نسخة مماثلة تكريما للفنان معروضة هي الاخرى في متاحف مختلفة. شعراء من جميع المذاهب التعبيرية تساءلوا بالحاح عن (هذه الابتسامة الغامضة الحلوة لفم ليس حلوا) –هوغو فون هوفمانشتال)) –قامة ذات ابتسامة حلوة ابدعتها يد ربانية او بشرية)) –جورجيو فاساري: معاصر للفنان ليوناردو. ((الخير والشر، القسوة والظلم، الطرافة والملاحة، كلها مجتمعة في آن توحي بها